الفصل الرابع
السلطان وحيد الدين
من خلال خطاب أتاتورك

خطاب أتاتورك

هو الخطاب المعروف بنطق الذي ألقاه أتاتورك في المؤتمر الكبير لحزب الشعب الجمهوري عام1927، والذي استغرق شهراً في كتابته. وضع أتاتورك في هذا الخطاب خلاصة فكره وتجربته، وتحدث فيه عن دوره في حرب الاستقلال، والمراحل التي مرت بها منذ ذهابه إلى سامسون في 19 مايو 1919حتى إلغاء الخلافة الإسلامية في عام 1924. فتناول فيه أهم الأحداث التي أحاطت بإلغاء السلطنة العثمانية وانعقاد مؤتمر لوزان في العام نفسه، ثم إعلان الجمهورية التركية في العام التالي، ثم إلغاء الخلافة الإسلامية والمبادئ التي اتخذتها الحكومة الكمالية أساساً للجمهورية. وتضمن الخطاب عدداً من المراسلات التي تمت في تلك الفترة بين أتاتورك وقادة الجيش، وأبرز فيه الأسباب التي دعته للقيام بالخطوات التي سبقت وأحاطت وأعقبت إعلان الجمهورية التركية. كما يشرح أتاتورك في هذا الخطاب فلسفته في بناء الدولة التركية الحديثة ووجهة نظره في الدولة العثمانية تاريخياً وسياسياً وحضارياً، ورأيه في السلطان محمد وحيد الدين والخلافة والدين ومشروعه البديل للخلافة الإسلامية. وقد استعرض فيه بالتفصيل الصراع الذي خاضه ضد السلطان والخليفة محمد وحيد الدين من أجل تحقيق الاستقلال للشعب، وكل الأسباب التي رآها ضرورية لإلغاء السلطنة العثمانية ثم الخلافة - التي هى من آثار الدولة العثمانية على حد رأيه- التى يراها قد أضرت بالشعب التركي، واستعرض أيضا دوره في وضع الأسس التي قامت عليها الجمهورية التركية بعد أن ساعد الشعب في إزالة كل ما يعوق الاستقلال والحاكمية الشعبية وقيام الجمهورية التركية[221].

ويُعتبر خطاب أتاتورك وثيقة نفهم من خلالها فكر وحركة أتاتورك. فقد تناول فيه وجهات النظر المختلفة تجاه قراراته التي تتعلق بإلغاء السلطنة والخلافة، ومحاولته جعل تركيا دولة علمانية، وأورد فيه رأي المؤيدين والمعارضين له[222].

انتقاد خطاب أتاتورك

اختلفت آراء المؤرخين، والمثقفين، ورفاق أتاتورك، حول أفكاره الواردة في خطابه. فيرى رضا نور[223] من خلال تعليقه على خطاب أتاتورك، أن كثيراً من المسائل التي

---

[221]- تم طبع هذا الخطاب للمرة الأولى بالحروف العربية عام 1927، وعدد صفحاته 543 صفحة من القطع الكبير، ثم أُعيد طبعه بعد ذلك بالحروف اللاتينية عام 1938. واستغرق إلقاء هذا الخطاب ستة أيام متتالية من 15 إلى 20 اكتوبر 1927. انظر ماجدة مخلوف، الخلافة في خطاب أتاتورك، مرجع سبق ذكره، ص 24

[222]ـ محمد حرب، المثقف وتغيير نظام الحكم، حالة أتاتورك، دار الأفاق العربية 2001، ص 133

[223]- الدكتور رضا نور (1879 – 1943) هو طبيب ومؤرخ ورجل سياسة تركي معروف. تخرج من الكلية الطبية العسكرية ثم أصبح أستاذاً فيها. دخل معترك السياسة عام 1908 وتوجه إلى الأناضول مشتركاً في حرب الاستقلال. وكان رئيساً للوفد التركي الذي عقد معاهدة الصداقة مع روسيا عام 1921، ونائباً في مجلس محادثات لوزان. أُنتخب نائباً في مجلس النواب في أنقرة، وشغل منصب نائب وزير الخارجية في عهد مصطفى كمال. في كتابه حياتي وذكرياتي سرد الكثير من أسرار تلك الفترة من التاريخ التركي، وقد أودع نسخة من هذه المذكرات في فرنسا ونسخة أخرى في المتحف البريطاني، وقد اشترط عدم فتح هذه المذكرات قبل عام 1960 مبرهناً أن دافعه لم يكن الحقد

عرض لها مصطفى كمال في خطابه كتبها خطأ، وكثيراً من الوقائع تغافل عنها. وفي كل سطر يظهر نفسه بإنه هو فقط الذي صنع كل شئ. وطبع أتاتورك في ذلك الكتاب الوثائق التي تكون في مصلحته فقط، ولم يضع فيه مالايتفق مع مصالحه من وثائق. ويتضح من قراءة هذا الخطاب أن مصطفى كمال يغالط في الأحداث، ويبدلها بحيث تكون في صالحه. إن له جرأة في تزييف التاريخ[224].

ويصف الكاتب التركي، محمد دوغان خطاب أتاتورك بإنه ادعاء، بل ويمكن اعتباره اتهام وجهه أتاتورك لأكثر من 400 شخصية تاريخية في عهده، وقسم كبير من هذا الاتهام سلبي، ولم تُعط الفرصة لأي من هذه الشخصيات للدفاع عن نفسها[225].

ويقول الكاتب التركي، شوكت ثريا أيدمير: "إن ما قاله أتاتورك في الخطاب عن رفاق الكفاح القدامى كان بلا شك قاسياً، وغير منصفاً، وفيه إدانة لهم. لكن هذا يساعد على فهم الحالة الروحية لأتاتورك الذي لم يكن حتى تاريخ هذا الخطاب (1927) مجرد رجلاً عسكرياً بل رئيس دولة، وكان يلف أتاتورك في ذلك التاريخ إحساساً أسطورياً. فقد كان يرى الأحداث والبشر من زاويته هو، وكذلك الوثائق التي ألحقها بالخطاب كانت تخضع لتقديره هو. ونطق وثيقة سياسية أودعها أتاتورك ثنايا التاريخ من خلال وجهة نظره هو[226].

ويرى شيخ الإسلام[227] مصطفى صبري أفندي[228] أن هذا الخطاب كتبه مصطفى كمال، لتبرير حركاته ضد ولي نعمته الذي ذكره فيه بأخس الألقاب البذيئة[229].

الشخصي أو المنفعة الشخصية عند هجومه أو نقده للكثير من الشخصيات المهمة في ذلك التاريخ. ونُشرت هذه المذكرات في تركيا عام 1968. انظر الرجل الصنم، مرجع سبق ذكره، ص 46 ،47

[224]ـ ماجدة مخلوف، الخلافة في خطاب أتاتورك، مرجع سبق ذكره، ص 24 ، 25

[225] –Mehmet Doğan, "Kemalizm", Esra Yay., Konya 1994, s. 36,37

[226] – Şevket Süreyya Aydemir, ‘‘İkinci Adam İsmet İnönü’’, c.1, Remzi Kitabevi, İstanbul 1993, s. 218

[227] - شيخ الإسلام هو صاحب أعلى رتبة علمية في الدولة العثمانية، ويرأس الطبقة العلمية، وقد أُستحدث هذا المنصب في عهد السلطان مراد الثاني، وكان يسمى في أوائل عهد الدولة العثمانية بقاضي عسكر. وفي عهد السلطان محمد الفاتح كان يُعرف بالمفتي حيث كان يقوم بإصدار الفتاوي الخاصة بالدعاوي القضائية، ثم صار يُعرف بشيخ الإسلام. والصدر الأعظم هو المسئول عن تعيين شيخ الإسلام. وكان شيخ الإسلام عضواً في الديوان السلطاني الذي يرأسة الصدر الأعظم نيابة عن السلطان. انظر Mehmet Zeki Pakalın, ‘‘Osmanlı Tarıh Deyimler ve Terimleri Sözlüğü’’, cilt 3, Milli Eğitim Basımevi, İstanbul 1983, s. 347-350

[228] - ولد الشيخ مصطفى صبري في عام 1869م في الأناضول بمدينة "توقاط". حفظ القرآن الكريم في العاشرة من عمره، أرسله والده إلى مدينة قيصرية لمتابعة تعليمه، وهناك تعلم العلوم العربية، والعلوم الشرعية، كما تعلم المنطق وأصول المناظرة والوعظ. ثم انتقل إلى الآستانة لاستكمال تعليمه في جامع السلطان محمد الفاتح. تم تعيين الشيخ مصطفى صبري مدرساً في جامع الفاتح. ثم عُين في قصر يلديز بوظيفة مدير القلم السلطاني الخاص. ثم أميناً لمكتبة يلديز. عُين شيخاً للإسلام مرتين. وعينه السلطان محمد وحيد الدين عضواً في مجلس الأعيان العثماني. وعندما استولى الكماليون على العاصمة اضطر إلى الهجرة إلى اليونان في عام 1922 حيث أصدر جريدة باللغة العثمانية سماها (يارين) ثم هاجر إلى مصر سنة 1923م. ومن مؤلفاته (النكير على منكري النعمة) المترجم عن كتابه التركي (الإمامة الكبرى) الذي بحث فيه مسألة الخلافة من الناحية السياسية، وهاجم الكماليين وبيّن فسادهم، ونفّر العالم الإسلامي عامة ومصر خاصة منهم، وحذر من شرورهم، ونبه المسلمين إلى سوء نياتهم في التفريق بين الخلافة والسلطنة، وبين دوافع هذا التفريق، وأوضح الآثار المترتبة عليها. وتحدث عن فساد دين الكماليين، وعن تعصبهم للجنس التركي، ومحاربتهم للعصبية الإسلامية، واستخفافهم بالقرآن، وبتعاليم الإسلام التي يرون أنها غير صالحة

الانطباع الأول لمصطفى كمال عن وحيد الدين

تعرف مصطفى كمال بوحيد الدين، ولي العهد في 13 ديسمبر 1917، قبيل سفره مع وحيد الدين إلى ألمانيا في 15 ديسمبر عندما اختاره أنور باشا في مهمة مرافقة ولي العهد في زيارته لألمانيا رداً على زيارة إمبراطورها الأعلى لتركيا. وتم تعيين مصطفى كمال ياوراً لولي العهد، فتوجه إلى قصره للتعرف عليه بصفة رسمية، وعندما قابله لآول مرة كان انطباعه الأول أنه إنسان يثير الضحك ويستحق الشفقة و"عاجز أبله" وشعر بداخله بضيق شديد تجاهه، وأنه غائب عن الوعي، لايعرف عن أحوال العالم شيئاً. وعندما يقول شيئاً يغمض عينيه ويفكر طويلاً، وكأنه مستغرق في تأمل صوفي ثم يفتح عينيه ويغمغم ببضع كلمات[230].

وتقرر السفر في 15 ديسمبر، والتقى بولي العهد في يوم السفر في المحطة، ولم تعجبه تصرفات وحيد الدين ولاردائه ولا طريقة تحيته للمودعين وللجماهير، حتى إنه لفت نظر إحسان بك، المسئول عن البروتوكول إلى أنه كان من الواجب أن يرتدي وحيد الدين ملابس عسكرية. ثم على حد قوله قام بتعليمه كيف يشير للمشيعين بعد أن كان يرفع كلتا يديه ويشاور بهما، وأنه كان مطيعاً، وكلما كان يشير إليه بشيء ينفذه[231].

للقرن العشرين. وقدم نماذج من كتابات كتابهم الداعين إلى التخلص من سلطان الدين، وإبعاده عن سياسة الدولة، اقتداءً بالأوروبيين، وقدم الشيخ أمثلة بالقوانين التي خالفوا فيها الشرع. وهو يرى أن الكماليين خرجوا من عباءة الاتحاديين الملاحدة، ولا فرق بينهم، فهم مثلهم في صلتهم باليهود، وتواطئهم مع الإنجليز، وأراد أن ينبه المصريين إلى ما يضمره الكماليون للإسلام وشريعته وأهله، وما ينطوون عليه من خبث النية وفساد الدين، وأن الخلافة التي ابتدعوها مجردة عن السلطة ليست من الإسلام في شيء، وأن فصل الدين عن الدولة ليس إلا وسيلة للتخلص من سلطانه وشريعته. ومن كتبه (مسألة ترجمة القرآن) و(موقف البشر تحت سلطان القدر) رد فيه على من زعم أن تأخر المسلمين وتواكلهم وانحطاطهم وتخلفهم إنما يرجع إلى إيمانهم بعقيدة القضاء والقدر، وفند آراءهم ومزاعمهم بحجج قوية، و(القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون) رد فيه على الماديين الملاحدة الذين يشككون في وجود الله تعالى، وعلى الذين ينكرون الغيب والنبوة والمعجزات. وأما كتابه (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين، وعباده المرسلين)، وهو آخر ما ظهر للمؤلف من كتب في حياته، وطبعه عام 1950م في أربعة مجلدات كبيرة، فقد احتوى خلاصة آراء الشيخ في السياسة، والاجتماع، والفلسفة، والفقه، كما احتوى معاركه الفكرية مع عدد من أعلام عصره، كالمراغي، ووجدي، والعقاد، وهيكل وغيرهم. عاش فقيراً ومات فقيراً. وكانت شجاعته مضرب الأمثال، فقد حارب الاتحاديين وعلماء الدين المتغربين. وقد عمل طوال حياته على تغيير الوضع نحو الأفضل، وقد زاد نشاطه منذ أن أحس بالخطر المحدق بالدين الإسلامي في العالم الإسلامي. توفي الشيخ مصطفى صبري في القاهرة عام 1954م. انظر محمد حرب (العثمانيون في التاريخ والحضارة)، دار القلم، دمشق 1989، ص 289 – 292

[229]ـ مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مرجع سبق ذكره، ص 415

[230] – Necip Fazıl kısakürek, "Sultan Vahiduddin", a.g.e. s. 84,85

يقول مصطفى كمال عن هذا اللقاء ما يلي: "جلست على مقعد غير مريح في حجرة زُينت جدرانها بأفخر أنواع السجاد بينما وقف رجال القصر في أرديتهم الرسمية يتهامسون. ودخل وحيد الدين، وكان رجلاً هزيلاً، كثيف شعر الجسم، ذا رقبة طويلة، ووجه يبدو عليه الضعف، يرتدي مجموعة من ثياب الصباح لاتلائم جسمه، وجلس على أريكة مزدحمة بالوسائد والرياش، وبعد أن تقبل تحيات رجال حاشيته، أغمض عينيه ثم فتحهما مرتين بعد مجهود وأبدى ملاحظتين تافهتين، ثم عاد يغالب النعاس، فأدركت أنني أجلس مع أبله". انظر أرمسترونج، الذئب الأغبر، مرجع سبق ذكره، ص 82

وتغيرت نظرة مصطفى كمال لوحيد الدين بعد أن ابتعد القطار عن استانبول، فوجده رجلاً مختلفاً ، عينيه مفتوحتين ،موفور الانتباه ، ذكي وينظر إليه بنظرات ثاقبة. وأبدى وحيد الدين ارتياحه وسعادته وفخره لسفره معه لأنه القائد الذي أنقذ استانبول، وصارت بينهما صداقة وصحبة حلوة. وأدرك مصطفى كمال أن شخصية وحيد الدين تغيرت بالفعل بعد أن غادر استانبول، وتحرر من رجال القصر الذين كانوا يتجسسون عليه، وصار حراً وبدت شخصيته الحقيقية[232]. وغير مصطفى كمال باشا من رأيه السابق، وأصبح وحيد الدين- الذي كان يقول عنة "المسكين المستحق للشفقة"- في رأيه مصدر الأمل الواعد[233]، برغم أنه ندم في البداية على قبوله السفر مع وحيد الدين، حيث شعر بالألم أن يرى بلاده تُمثل في أوروبا بواسطة بعثة يرأسها مثل هذا الأمير العاجز الأبله الذي يطل من أحد نوافذ القطار بوجهه النحيل، وعينيه الغبيتين، يتقبل في إعياء هتافات الجماهير عند بدء تحرك القطار.

---

[231]- يقول الكاتب التركي مراد برداقچي: "إن كلام مصطفى كمال عن وحيد الدين في المحطة، والملاحظات التي أبداها مثل أنت سير ونحن نأتي خلفك، وسلم على الأهالي وانت تنظر من النافذة، هذا كلام لايمكن أن يحدث لأن مصطفى كمال حتى لو كان حينئذ برتبة جنرال لايمكن أن يملي أوامره وملاحظاته هكذا على ولي العهد، لأن هناك برتوكول خاص، وطريقة خاصة للتعامل مع الملوك وأولياء العهد في كل زمان ومكان. فإذا كان مصطفى كمال قد فعل ذلك فعلاً مع وحيد الدين لكان تم فصله من وظيفته في الحال. ومن يدقق في هذه الخواطر يراها لا تنتمي إلى مصطفي كمال، بل يمكن أن تكون من خواطر فالح رفقي" انظر Murat Bardakçı, Şahbaba, a.g.e.s.70-73

[232]- يقول مصطفى كمال عن لقائه بوحيد الدين في القطار:

"اعتبرت هذا اللقاء كاف من أجل تلك الليلة، فاستأذنت قائلاً: "إنني لا أريد أن أقلق راحتكم أكثر من ذلك". وعندما عدت إلى الصالون الخاص بي في القطار شعرت بالانشراح. كنت أفكر في أن هذا الشخص لابد وأن يكون شخصاً عاقلاً. عندما قابلته لأول مرة في استانبول، بدا ولي عهد غريب الأطوار تحت تأثير شروط وأسباب تسهيل لقائنا في رأي العارفين ببواطن الأمور في هذا الزمان. لكن بعد أن غادر استانبول، شعر بالتحرر تماماً، وعندما فهم أنه يتحدث مع رجل من الرجال الذين يُعتد بهم، لم يجد مانعاً في أن يبدي شخصيته الحقيقية. ولهذا تمكنت أن أطلعه على الأحوال والأمور الضرورية، وأصبح في مقدوري، في رأيه، أن أبدأ نشاطي مرتكزاً على بعض الأسس فتفاءلت. وتمر أيام الرحلة الواحد تلو الأخر، وكل يوم كنا نلتقي لقاءات إما طويلة أو قصيرة، واقتنعت حينئذ أنه يمكن عمل بعض الأشياء مع هذا الرجل، بشرط إظهار الود والتقرب منه وتنويره. وأعربت عن وجهة نظري هذه لأشخاص مثل ناجي باشا وأخرون. وأشرت إلى ضرورة إعداد ولي العهد للقيام بمهمة تستهدف مصلحة الدولة. واستمرت رحلتنا في لقاءات من هذا النوع الذي بين الأصدقاء". انظر

Necip Fazıl kısakürek, "Sultan Vahiduddin", a.g.e. s 90,91

[233] ـ يشرح الكاتب الإنجليزي، هـ.س.ارمسترونج في كتابه (الذئب الأغبر)، أسباب تغير شخصية وحيد الدين عند مغادرة القطار استانبول فيقول: "عاش وحيد الدين ستين عاماً في القصر تحت حكم السلطان عبد الحميد الذي كان قد أُعجب به ودربه أحسن تدريب، لكنه لم يكف عن مراقبته طيلة الوقت بواسطة جواسيسه، فعاش الأمير في خطر دائم واتخذ هذا المظهر التنكري الخادع، مظهر الأبله الواقع تحت تأثير مخدر أو منوم حتى لاتفلت منه هفوة واحدة أو إشارة تنم عن طموحه أو اهتمامه بالسياسة أو بالعالم الخارجي، فيزج به في غياهب السجون أو يختفي من الوجود، بينما يخفي وراء هذا المظهر فكراً ثاقباً، وعقلاً ذكياً، وكانت سياسة وحيد الدين ضد الاتحاديين؛ ولذلك كان مراقباً في فترة ولاية عهده من قبلهم هو وزائريه، فكان يحذرهم ومن ثم حرص في العاصمة على أن يعامل مصطفى كمال بالإهمال والازدراء اللذين يقتضيهما الحذر. أما بعد أن غادر وحيد الدين القصر والعاصمة، تغيرت شخصيته وصار يحييه في حرارة، ويعتذر إليه بإنه لم يستطع التبسط معه في الفرصة السابقة، ثم هنأه على نجاحه وانتصاراته كقائد حرب، وبهذا الإطراء أرضى غرور مصطفى كمال بحيث أزال استياءه وأثلج صدره من فوره، وسرعان ماصار الاثنان صديقين حميمين، وأنفقا فترة الرحلة في أحاديث تسودها روح الثقة والتفاهم المتبادل". انظر هـ. س. ارمسترونج، الذئب الأغبر، مرجع سبق ذكره، ص 83 ، 84

وعندما تلقى مصطفى كمال خبر وفاة السلطان رشاد وجلوس وحيد الدين على العرش، أرسل إلى القصر برقية تهنئة في 19 يولية 1918 بتوقيعة كقائداً للجيش، يوضح وجهة نظره الكاملة تجاه وحيد الدين وحكمه القيم عليه. وهذا ما قاله بنفسه: **''إن جلوس أفندينا على العرش قد بعث الأمل الكبير في عبدكم، وفي إمكانية تحقيق سلامة وسعادة وطننا. وبرغم الحزن على وفاة السلطان المرحوم، فإنني مقتنع وواثق تماماً من أنكم ستنقذون وطنكم وأمتكم وجيشكم حتى لا يصير ألعوبة. وأنكم ستعدلون من الوضع الأليم. وأرجو أن تقبل الذات السلطانية جزيل شكر، وعظيم احترام عبدكم''**[234].
وعندما التقى بالسلطان وحيد الدين بعد توليه العرش طلب ضرورة توليه قيادة الجيش، وتعيينه هو نائباً للقائد الأعلى. فرفض السلطان وقال له إنني أريد أن أضمن إشباع شعب استانبول أولاً. فاقتنع مصطفى كمال أنه أمام ثعلب مكار؛ فالسلطان كان يريد أن يكسب شعب استانبول، لأنه كان يبحث عن نقطة ارتكاز قوية تسانده في الاضطلاع بمهمة إنقاذ الوطن[235].

انقلاب مصطفى كمال على السلطان وحيد الدين

كان هدف مصطفى كمال خلال حركة المقاومة الشعبية في الأناضول - كما أعلنه في البداية - هو إنقاذ الخليفة والسلطان وحيد الدين الموجود تحت أسر الاحتلال في استانبول، فكان يؤكد بإصرار أن الهدف من الحركة هو إنقاذ السلطان الأسير. وقد أوضح مصطفى كمال هذا القصد خلال مراسلاته الرسمية؛ ففي 19 يناير 1920 أرسل مصطفى كمال خطاباً مهماً إلى السلطان وحيد الدين يوضح فيه أن هدف الحركة الشعبية هو العمل على استقلال السلطان، واستعادة سيطرته ليس على استانبول فقط بل على العالم الإسلامي كله، وأنه سيجتهد في سبيل ذلك. إذ يقول فيه: **''سيدي المحترم، إن الغاية المقدسة، والهدف الأصلي للحركة الشعبية التي نجحت في إبعاد شبح تقسيم الوطن الذي يجهز له من خلال المعاهدات الخاصة، تلك الحركة التي استطاعت أن تحقق تأثيرات جيدة بفضل الله في موقفنا السياسي بصفة عامة، هو حماية وجودك وضمان سلامة مستقبلك، وذلك عن طريق توحيد جميع القوى المادية والمعنوية والمحافظة عامة على حاكميتكم، وعلى استقلال حضرة السلطان، الممثل الأعلى المحترم للدولة العثمانية. وحتى يصبح سلطان تركيا، وممثل هيئتنا، حضرة سيدنا صاحب الهيبة وخليفة الإسلام المقدس، صاحب المقام العالي المرتبط في وجدان العالم الإسلامي كله، صاحب نفوذ وسيطرة مادية ومعنوية، ليس فقط في وطننا كله بل في جميع أرجاء العالم الإسلامي . ومن هذا المنطلق فقد اعتنقت الحركة أمل أوسع، بحيث يكون الإنقاذ هو إنقاذ أسيا كلها بعد إنقاذ استقلالكم وإنقاذ مقام جلالتكم..... إنني قمت بتدعيم القوة الساحقة الموجودة في الأناضول بالعمل باسم السلطان..... وإنني أبشرك**

[234] Necip Fazıl kısakürek, "Sultan Vahiduddin", a.g.e. s. 125
[235] - Necip Fazıl kısakürek, "Sultan Vahiduddin", a.g.e. s.129

بإنني شكلت حركة مقاومة شعبية كبيرة - في سبيل تحقيق الغاية المقدسة التي أعرضها بكل إيمان وثقة- في الأناضول. وقد شاركت فيها جميع القرى، وجهزت الأمة كلها بلا استثناء سواء بالتفاهم أو بالقوة للتضحية بالروح في سبيل سيادة الذات الشاهانية وحصانتها. إن إحساس العبادة، الذي بلا نهاية، والذي في رؤوس ووجدان وأرواح الأمة كلها التي ترتبط بسلطانها، يعد بحدوث التقدم والرفعة من أجل المستقبل، ويهب الأمل في التوصل لشروط الصلح التي صارت قريبة بالاتحاد والتقارب الذي أبدته الأمة. وفي مجلس المبعوثان الموجود في حالة انعقاد منذ أسبوع، حصل إجماع قوي على هذه الآمال والغايات، وارتبطت جميع التشكيلات الملية بهذه الأغلبية التي أجمعت على ضرورة العمل على تحقيق سلامة الدولة التي يحفظها الله، وعلى ضرورة تحقيق رغبات السلطان. ولقد أرسلت كل من رؤوف بك، ناظر البحرية السابق وبكير سامي بك، من الوكلاء، للعرض على حضرتكم الإيضاحات، والتفصيلات الخاصة بمباحثاتنا المتعلقة برغباتكم، وبالموقف السياسي والشعبي بصفة عامة، والغايات التي تستهدفها تشكيلاتنا الشعبية ...وأقدم سلاماتي واحتراماتي المستمرة للأبد، إلى حضرة السلطان الذي يشعر بمدى صداقتي، وتبعيتي له التي أؤكدها له في كل زمان، على أمل ألا أستمر محروماً من شرف تمريغ الوجه في عتبة حضرة الخليفة التي تعلو حتى السماء. توقيع م . كمال"

وفي 27 ابريل 1920 أرسل برقية باسم الديوان تقول: **"نحن نرتبط بعرشك ارتباطاً شديداً. وإذا كان جنود العدو قد دخلوا استانبول، فإننا مستمرون في الحرب، إن لم ينسحبوا من فوق تراب وطنك".** وكانت برقيات الصحف تكتب في عناوينها الرئيسية **"حضرة خليفتنا ذو الشان، المخلص لوطنه"**[236].

علم مكتب الاستخبارات الإنجليزية الذي في استانبول بأمر هذا الخطاب، وبمحتواه، فقام بإخبار لندن في تقرير مرسل في فبراير عام 1920 بهذا الموضوع، إذ قال إن مصطفى كمال أرسل إلى السلطان خطاباً نيابة عن القوى الوطنية، وأنه طمأن السلطان عن هذا الموضوع، وأن السلطان رد ببرقية - عن طريق رئيس السكرتارية- على هذا الخطاب المرسل، ولكن محتوى الخطاب الذي أرسله السلطان لمصطفى كمال، لايُعرف حتى اليوم[237].

ومنذ تلك اللحظة، تغير الهدف المقصود، وهو "إنقاذ السلطان والخليفة" ودخل في مرحلة أخرى، وصارالكلام يستهدف إنقاذ مقامي السلطنة والخلافة، وليس إنقاذ وحيد الدين الذي يعترف مصطفي كمال في خطابه المعروف باسم نطق، بأن الأمة لايمكن أن ترفع راية العصيان ضد الخليفة؛ حيث كان الشعب التركي يرى في انتفاضته، أنه يؤدي واجبه من أجل الدين والأمة. وكان الجيش والأمة يهتمون بسلامة مقام الخلافة العالي والسلطنة أكثر من اهتمامهم بسلامتهم، ولم يتصوروا إمكانية الخلاص والسلامة بدون

---

[236]- Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e. s.170 ,171

[237]- انظرالمرجع السابق،ص 172

السلطنة والخلافة. وأن من يبدي فكراً معارضاً ومخالفاً لهذا يُعتبر في الحال خائناً وكافراً ومرتداً[238].

وفي المرحلة التالية حدث تغير كبير في سياسة مصطفى كمال تجاه وحيد الدين، فبعد أن قال - في افتتاح جلسة مجلس الأمة التركي الكبير الأولى في عام 1920 ، في خطبته الأولى التي ألقاها في المجلس والتي بدأها بإعلان خضوعه وعبوديته للسلطان وبالتلميح بأن السلطان هو الذي أرسله لبدأ حركة الإنقاذ[239]: "إنه توجه للأناضول حسب الرغبة السامية للسلطان[240]. ولكون مقام السلطنة هو مقام الخلافة في نفس الوقت فإن سلطاننا هو رئيس لجمهور المسلمين. وإن الغاية الأولى لجهادنا لا تستهدف الفصل بين مقام السلطنة ومقام الخلافة، بل تستهدف الإعلان للأعداء بأن إرادة الأمة ضدهذا الفصل، وتستهدف تخليص هذه المقامات المقدسة من الأسر الأجنبي لإنقاذ صلاحيات أولي الأمر من ضغط الأعداء"[241]. صار يقول بعد ذلك: "إن السلطان الخليفة، الواقع تحت الأسر والذي يلزم إنقاذه صار مع الزمن خائناً". وصار الكلام مختلف حتى أنه لم يعد يذكر المقامين، بل صار الكلام حول إنقاذ البلاد من وحيد الدين، وصار الحديث عن حالة دولة خالية من السلطنة والخلافة، وعن تخليص الدولة من السلطنة والخلافة نتيجة لهذه التغيرات[242].

واشتدت تأثيرات سياسة الحركة الشعبية المناهضة لمعاهدة سيفر ولاستانبول، وبرزت أكثر أفكار مصطفى كمال التي اعتاد أن يقولها صراحة للمقربين منه في الأسابيع الأولى للحرب القومية، وكانت تدور حول الجمهورية وإمكانية تطبيقها.

وفي خريف 1920 بدا مصطفى كمال مختلفاً عن مصطفى كمال الذي كان يقول منذ عدة شهور، في 24 أبريل ومن نفس الكرسي، وفي مجمل حديثه عن السلطان، إنه "أقيم هدية من أجدادنا العظام". وكان يقول عن القرارات التي قيل له أن السلطان يتخذها ضده في استانبول: "أنا شخصياً لا أصدق أي شيء. فلو سمعت هذا الكلام من فم السلطان نفسه، كنت سأقول إنه فعل هذا نتيجة للضغط الذي يتعرض له"[243].

وفي 25 مايو 1920 بعد معاهدة سيفر، بدأ الحديث في جلسات المجلس يتخذ إتجاهاً آخر، وانتهى عصر الكلام عن إنقاذ السلطان، وأصبح الحديث عن إنقاذ مقامي الخلافة والسلطنة، وإذا كان هناك بعض النواب لايزالون مرتبطين بفكرة إنقاذ السلطان الأسير،

238- مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 8

239- هذه الخطبة نشرتها جريدة (أورطة دوغو) الصادرة في استانبول، بتاريخ 29 نيسان 1974

240- من ملف وقائع الجلسة الأولى للمجلس بالأحرف العربية. هذا الاعتراف موجود في النسخة المكتوبة باللغة العثمانية، وعندما نُقلت إلى الحروف اللاتينية، أمر مصطفى كمال بحزف هذه العبارة، وهى عبارة تثبت أن وحيد الدين هو الذي أناط به مهمة تشكيل حركة مقاومة شعبية. انظر الرجل الصنم، مرجع سبق ذكره، ص173 ، 174

241- المرجع السابق، ص 166

242 -Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e. s. 159

243- قال مصطفى كمال بعد أسبوعين من الفتوى الخاصة بدري زادة، التي أُعلن فيها أن مصطفى كمال عاصي. ولابد من إعدامه: "إذا سمعت هذا الكلام من فم الذات الشاهانية نفسه، سأقول إنه قالها نتيجة للضغط والتضييق عليه." انظر Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e. s. 158

واعتباره أساس الحرب القائمة في الأناضول، فإن مصطفى كمال أصبح يقول: **"لا أرى داع للاستغراق في مناقشة مسألة الخلافة والسلطنة المهمة جداً. فإن إنقاذ الخلافة والسلطنه هى أولى أولوياتنا. وإنني أرى أنه من أجل تحقيق الإنقاذ، يجب أن يكون هدفنا الأول هو حماية السلطنة، و مقام الخلافة الذي نرتبط به. ولا يجب أن نهمل هذا المقام الذي هو أساس الرباط الحقيقي الذي يربط بين العالم الإسلامي. ولا يمكن أن يؤخذ منا هذا المقام بالقوة. ومن أجل تحقيق الهدف فإننا بحاجة الى قوى العالم الإسلامي. وإنني مقتنع بإنه لا يجوز فتح باب المناقشة حول هذه المسألة في مجلسنا الأعلى. ولكن للأسف! فمقام الخلافة والسلطنة يشغلهما الآن رجل خان الأمة والدولة. فالرجل الذي يحمل لقب السلطان والخليفة خدع الأمة، وأحاط نفسه بمجموعة من المفسدين من أجل تسهيل الفساد. إن عدم التصدي لرجل بلغت به الجرأة على الفساد، وأحاط نفسه بالنظم الفاسدة، وتركه بلا محاكمة يصير من باب الغفلة، وليس من باب الحكمة. ولنأخذ هذا الأمر على عاتقنا ونحقق ما نريده، لأن أمتنا جبلت على الطاعة العمياء لهذا السلطان والخليفة. وإذا أخذنا هذا الأمر مأخذ الجد فسنقضي على آمال أعدائنا كلها سواء الإنجليز أو من معهم. لقد دأبت الأمة على تقديم فروض الطاعة العمياء بلا قيد ولا شرط لشخص يقال له السلطان والخليفة، فقد آن الأوان أن نحقق أهدافنا بأنفسنا، وأن نفعل ما نريد نحن. إن الرجل الأسير لايكون سلطاناً. فإذا كان السلطان لا يستطيع أن يستخدم قوته وقدرته، فهنا لابد أن يكون الإلغاء. وبناءً على ذلك لايجوز الانشغال بهذه المسألة. واليوم فإما أن نعترف بالسلطان، أو نحل آخر محله في الحال. إننا نثبت لأي شخص أننا لم نُخرج مقام السلطنة والخلافة من رؤوسنا في أي وقت. إن هدفنا ليس معاداة أحد، بل هدفنا هو سعادة وسلامة وطننا والعمل من أجل استقلاله داخل حدود واضحة. ولذلك فإنه في اليوم الذي يتم فيه التنازل بدون اغتيالات أو أسر أو إقصاء، فإننا مستعدون للتفاوض مع أعدائنا. فإذا كانت القوة هى كل شيء؛ فلابد وأن نضع نصب أعيننا المسألة الأخلاقية، وأيضا نضع نصب أعيننا توازن القوة، فالضعيف لايمكن أن يحكم القوي. فإن القوة قبل أي شيء، وفي الدرجة الثانية تبقى الإنسانية والعدل وجميع المباديء"[244].**

اتجاه مصطفى كمال لإعلان الجمهورية

كان مصطفى كمال دائماً ضد السلطنة والخلافة، وقد اضطر أن يخفي تلك المشاعر ونجح في ذلك، ويتبين ذلك مما قاله في نطق عام 1927: "كان شرطاً أساسياً أن نبقى

[244]- مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 10 و Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e. s.171-174

صادقين ومرتبطين تماماً بالخلافة والسلطنة، وألا نتخذ وضعية خصومة ضد دول الحلفاء "، وكان يفكر في إلغاء السلطنة وإقامة نظاماً جمهورياً منذ عام 1917[245].

لم يكن مصطفى كمال ثورياً فقط، بل هو دبلوماسياً خبيراً أيضا، وكان يعرف كيف يخفي أفكاره بمهارة حتى عن أقرب أصدقائه. وتعمد أن يخفي عداوته للإنجليز، كما تفادى أن يصطدم بالسلطان حتى قراره في 1 نوفمبر 1922. وتوخى الحذر حتى لا يبدو أنه ضد السلطان الذي يحبه الشعب. وحاول السيطرة على الإنجليز وفريد باشا، وأن يتلاعب بالخلافات بينهما حتى يقضي على جانب فريد باشا. وكان يرسل الكثير من البرقيات التي تفيد ارتباطه بالسلطنة والخلافة، إلى السلطان وحيد الدين[246].

كان مصطفى كمال ماهراً حيث كان يضع السلطان وحيد الدين وحكومة استانبول في قبضته. واستطاع أن يطوع عناد وحيد الدين، وفي نفس الوقت يضمر الكثير من الشرور تجاهه، لدرجة أنه في أثناء الهدنة اقترح إسقاط الحكومة في محاولة انقلاب، وحتى اقترح قتل وحيد الدين[247].

وقد أفصح أصدقاء مصطفى كمال المقربين، الذين كانوا يقومون بكتابة مذكراته، عن توجهه الجمهوري، حيث قال مظهر مفيد بك في مذكراته التي احتوتها مجلدين، أن مصطفى كمال كان ينوي إعلان الجمهورية، فقد أخبره بينما هم في أرضروم، أنه سيعلن الجمهورية. وسجل مظهر مفيد هذه المعلومة. وعندما سأل محمود أسد بوزقورت، مصطفى كمال صديقه المقرب، عن متى سيعلن صراحة قراره بشأن إنشاء إدارة جمهورية - وكان ذلك في 20 يوليو 1919- قال مصطفى كمال: "سأقولها صراحة، أنه عندما يأتي وقت مناقشة شكل الحكومة، فإن شكلها سيصير جمهورية"[248].

كما قام مصطفى كمال بتعديل بعض مواد قانون التشكيلات الأساسية الذي وُضع في 20 يوليو 1921، حيث أضاف إلى المادة الأولى جملة هى: "شكل الحكومة التركية هو شكل الجمهورية". وكذلك أكد أتاتورك في حديثه مع حسام الدين أرتورك وهو أيضا من أصدقائه المقربين، بقوله: "سوف نؤسس الجمهورية على كل الأحوال". والملاحظ أن هذه الملاحظات من مصطفى كمال قد قالها في عام 1921، وهو ما يوضح أنه كان يبيت النية على إعلان الجمهورية[249].

صورة وحيد الدين كما وردت فى خطاب مصطفى كمال

---

[245] - Şükrü Tezer, "Atatürk'ün Hatıra Defteri", a.g.e. s. 132

[246] - Gotthard Jaeschke,"Kurtuluş Savaşı ile ilgili İngiliz Belgeleri", Türk Tarih Kurumu Basımevi, Ankara 1971, s.122,123

[247] - Kadir Mısıroğlu, "bir mazlum Padişah, Sultan vahideddin", a.g.e. s. 196,197

[248] - Mazhar Müfit Kansu, "Erzarum'dan ölümne Kadar Atatürk'le Beraber", c.1, Türk Tarih Kurumu basımevi, Ankara 1966 , s. 35 ,74

[249] - Hasan Rıza Soyak, "Atatürk'ten Hatıralar", a.g.e. s. 182 ve Hüsamettin Ertürk, "İki Devrin Perde Arkası", Sebil Yayınları, İstanbul 1996, s. 442,443

يقول مصطفى كمال عن السلطان وحيد الدين في خطابه، إنه بعد انتهاء الحرب العالمية، وهروب الذين دفعوا بالبلاد إليها، خوفاً على حياتهم، كان وحيد الدين وهو الرجل الذي يشغل مقامي السلطنة والخلافة مذعوراً، يبحث عن إجراءات دنيئة تخيل أن يضمن بها حياته وعرشه فقط. وكانت حكومته برئاسة الصدر الأعظم، فريد باشا، عاجزة، وفاقدة اعتبارها، وخاضعة لإرادة السلطان فقط، راضية بأي وضع يمكن أن يحميها ويحمي أشخاصها. إن قبول حماية ورعاية دولة أجنبية لا يعني سوى الحرمان من الوصف الإنساني والاعتراف بالعجز والمسكنة، ولايمكن أن يُستبعد احتمال أن يأتي الذين انحدروا إلى هذا الدرك، بسيد أجنبي يضعونه فوق رؤوسهم طواعية[250].

واتهم مصطفى كمال وحيد الدين، بإنه كان على رأس المنتسبين لجمعية محبي الإنجليز[251] التي شكلها- على حد قوله في خطابه- هؤلاء من يدّعون أنهم محبي الإنجليز ولكنهم هم المحبون لذاتهم ولمنافعهم الشخصية، الذين يبحثون عن وسيلة لضمان حماية الإنجليز عن طريق حكومة (لويد جورج) دون التفكير فيما إذا كانت إنجلترا تأمل فعلاً في الحفاظ على دولة عثمانية منتهية ومن ثم حمايتها[252].

فقد كانت دول الحلفاء في حالة اعتداء مادي ومعنوي على الدولة العثمانية، وتنوي القضاء عليها وتقسيمها. وحين كان السلطان والخليفة لايفكر في شيء آخر سوى الوسيلة التي سيتمكن بها من إنقاذ حياته، ويضمن بها سلامته وكانت حكومته أيضا مثله، كان الشعب الذي صار يفتقر إلى الزعامة، متخبطاً ينتظر من ينقذه. وكان الجيش اسماً بلا جسم. والقادة الذين أرهقتهم الحرب مشغولين بالبحث عن وسيلة للخلاص، ولايعلمون شيئاً عن خيانة السلطان والخليفة، بل كانوا مطيعين له نتيجة الروابط الدينية الراسخة في وجدانهم تجاه هذا المقام، ومن يحتل هذا المقام، ولذلك كانوا في سعيهم نحو الخلاص يفكرون بدافع الاعتياد الموروث في إنقاذ مقامي السلطنة والخلافة - التي أصبحت مجرد الفاظاً بلا معنى- قبل إنقاذ أنفسهم. ولم يكن لديهم استعداداً لتقبل فكرة الخلاص بدون خليفة وسلطان، ومن كان يبدو معارضاً لهذا يوصف بأنه بلا دين وبلا انتماء وخائن ومرتد، ويشترك في هذا عامة الشعب وخواصة على حد سواء[253].

ويصف مصطفى كمال، وحيد الدين والمحيطين به في خطابه، بإنهم مجموعة من المجانين، لاتربطهم بالوطن والشعب أي رابطة دينية أو فكرية. ولاينبغي أن يكونوا في موقع المحافظ على استقلال الدولة والشعب، في الوقت الذي يبذل فيه الشعب كل أنواع التضحيات في سبيل تحقيق الاستقلال. ويرى أن العمل على استمرار السلطنة العثمانية

---

[250]ـ مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 3

[251]- تكونت جمعية محبي الإنجليز في استانبول في اغسطس عام 1919 م، وكان هدفها المحافظة على الرابطة التي تربط السلطان والخليفة العثماني بالإمبراطورية الإنجليزية التي تسيطر على أغلب مسلمي العالم، والاستفادة من هذه العلاقة في عمل الدعاية التي تحث المسلمين في المستعمرات الإنجليزية، والتعاون مع الوزراء في حكومة استانبول من أجل حث شعب الأناضول على المقاومة. انظر ماجدة مخلوف، الخلافة في خطاب أتاتورك، مرجع سبق ذكره، ص 33

[252]ـ مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 6

[253]ـ مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 8 ، 9

سيلحق أكبر ضرر بالشعب التركي؛ لأنه لن ينظر بعين الثقة إلى هذا الاستقلال الذي تحقق[254].

ويصور مصطفى كمال وحيد الدين في خطابه، بإنه صار خصماً للكفاح الشعبي، لايؤمن جانبه منذ اللحظة الأولى لبداية هذا الكفاح الذي يُعتبر تطور طبيعي للتاريخ لايمكن تجنبه. فهدف هذا الكفاح كان إنقاذ الوطن ومواجهة الاعتداء الخارجي، وكلما نجح الشعب في تحقيق هدفه، تحقق معه حكم الإرادة الشعبية، وهوما اعتبره السلطان خطراً فسعى إلى تجنبه[255]. لذلك كان لابد من تحريض كل من الشعب والجيش على عصيان الحكومة العثمانية، وعصيان السلطان العثماني وخليفة المسلمين. ويشرح سبب قيامه بتشكيل مجلس الأمة الكبير، وهو وطأة الضرورة الناجمة عن أسر الخليفة والسلطان[256].

ويتهم مصطفى كمال السلطان وحيد الدين بإنه خائن، وإنه أداة الأعداء ضد الوطن والشعب، وعندما يقول الشعب عن هذا الرجل إنه خليفة وسلطان[257]، فلابد بالضرورة أن يكون مطيعاً لأوامره ومجبراً بالضرورة أيضا على تنفيذ ما يسعى إليه العدو من آمال. إن الرجل الخائن الممنوع من استخدام قدرة وصلاحيات مقامة، لايمكن أن يكون في حد ذاته سلطاناً وخليفة[258].

ويقول عن السلطان، إنه من المحزن التفكيرفي أن نرى مخلوق وضيع مثل وحيد الدين- رأى أن وجوده بين أمته خطر يهدد حياته وحريته- قائماً على رأس أي أمة ولو لمدة دقيقة واحدة. ومما يستحق الذكر أن هذا الوضيع ما زال مستمراً في دناءاته، حتى بعد أن خلعه الشعب من مقام السلطنة الموروث. ولا شك أن مبادرة الشعب التركي بهذا الخلع أمر جدير بالتقدير[259]. ويقول إن مجموعة وحيد الدين المكونة من توفيق باشا ومن هم على شاكلته، يرون أن من مصلحتهم التهالك على الأقدام البالية المنهارة لعرش ملوث، ولايشغلها شيء سوى الترويج لمقاصدها الخفية[260]. وهو يرى أن المجموعة العثمانية التي تحكم استانبول محرومة من الإدراك ومن الضمير. وأن الأسرة العثمانية اغتصبت سلطة الأمة التركية، واستولت على السلطنة بالقوة، واستمروا في هذا التسلط منذ ستة قرون، وقد وضع الشعب حداً لهؤلاء المغتصبين، وأخذ السلطة والسلطنة[261].

ويرى أتاتورك أنه بموجب نظام توارث سقيم، استطاع إنسان سافل أن يحرز لقباً عظيماً، ومقاماً رفيعاً. هذا الإنسان هوى بأمة أصيلة- لها من عزة النفس درجة عالية-

---

[254]ـ المرجع السابق، ص 9

[255] ـ المرجع السابق، ص 10

[256]ـ المرجع السابق، ص 272

[257]- كان الشعب بقلبه وعواطفه محافظاً على السلطنة والخلافة، وكانت الجمعية الوطنية تميل إلى إنشاء ملكية دستورية. انظر هـ. س. ارمسترونج، الذئب الأغبر، مرجع سبق ذكره، ص 187

[258]ـ مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 352

[259]ـ مصطفى كمال (غازي) نطق،مرجع سبق ذكره، ص 423 ،424

[260]ـ المرجع السابق، ص 420

[261] ـ المرجع السابق، ص 424

إلى مثل هذا الوضع المخجل. باستطاعة أي مخلوق عاجز، عديم الحس، محروم من الإدراك، أن يقبل الدخول في حماية دولة أجنبية، لكن ليس من المقبول أن يحمل مخلوق كهذا صفة خليفة كل المسلمين. وأذا استمر في حمل هذه الصفة فسوف يؤدي بنا إلى أن نكون أسرى في بيوتنا، وأن تكون كل الشعوب الإسلامية أسيرة. ويصف الأمة التركية بإنها مثالاً للحرية والاستقلال، حيث استطاعت أن تقضي على لعبة الخلفاء الذين استباحوا كل أنواع الذل لكى يحافظ إنسان بوضاعة على حياته التي لا قيمة لها. ويقول إن الدول في علاقاتها مع بعض لايجب أن تولي أي أهمية إلى الأشخاص الذين بلغ بهم حد التدني أن يتسببوا في الإضرار بالدولة التي ينتسبون إليها على وجه الخصوص، و بالشعب، ولا يفكرون في شيء آخر سوى مكانتهم وحياتهم الشخصية. وإن وضع نهاية لعصر التعلق بنظام يعتمد على المانيكانات في العلاقات بين الشعوب، يجب أن يكون التمني الحقيقي للعالم المدني[262].

وعندما تم اختيار عبد المجيد أفندي خليفة، طلب منه مصطفى كمال أن يدين في البيان الذي سيدلي به أمام العالم الإسلامي، تصرفات وحيد الدين صراحة. ولكن عبد المجيد اعتذر عن الخوض في الحديث عن أي أمر يتعلق بوحيد الدين، فاقترح مصطفي كمال أن يتناول البيان الحديث عن الشخصية المعنوية للخليفة السابق بدون ذكر اسم وحيد الدين صراحة، وأن يتناول الحديث عن الدرك الذي انحدر فيه الأتراك في عهده. ولكن عبد المجيد رفض ذلك أيضا، لأنه رأى أن ذلك سيمس سلوك وحيد الدين وسجاياه[263].

تأسيس مجلس الأمة الكبير تمهيداً لإلغاء السلطنة

في 16 مارس 1920 وقع الاحتلال الكامل لاستانبول من جانب الإنجليز، وانفض مجلس المبعوثان، وسارت الأحداث في صالح مصطفى كمال الذي بدأ بإرسال البلاغات إلى جميع الولاة، وقادة الجيش، يخبرهم بانعقاد مجلس تأسيسي في أنقرة. وبعد خمسة أسابيع من انفضاض المجلس في استانبول - أي في 23 أبريل 1920- اجتمع في أنقرة باسم مجلس الأمة التركي الكبير. وكان المجلس يضم الأعضاء الذين هربوا من استانبول، والأعضاء المنتخبين من قبل بعض الولايات. أقنع مصطفى كمال- بصفته رئيساً لجمعية الدفاع عن الأناضول والروم إيلي- الشعب العثماني بصواب فكرة الانتخاب القائم على أسس أقوى من الأسس السابقة، وأقر المجلس التقرير الذي أعده مصطفى كمال، بتشكيل حكومة من بين أعضائه، وأن تكون للمجلس السلطة التشريعية والتنفيذية، وأن يضطلع بمهام الحكومة، ويكون رئيس المجلس رئيساً للحكومة. وبدأ استخدام اسم تركيا بشكل رسمي خلال اجتماعات هذا المجلس. وكان مصطفى كمال

---

[262]-كانت كلمات مصطفى كمال تلك هي أساس إدعاء الخيانة الذي التصق بوحيد الدين حتى اليوم. انظر مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 423 ، 424

[263]- مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 424 ، 425

يعتبر نفسه رئيساً للدولة والحكومة، معتبراً الخليفة في أسر الإنجليز، ولهذا أجاز لنفسه أن يحتفظ مؤقتاً بكل حقوق السيادة على البلاد. وأخذ يباشر مسألة تعيين الموظفين في الأعمال التنفيذية والقضائية والإدارية، وتحويل جانب من هؤلاء الموظفين إلى الإدارات التي أستحدثها، وأصبح لكل نائب مندوب أووكيل مكلف بالإشراف على الأعمال التنفيذية والتشريعية[264].

وأخذ مصطفى كمال يوزع بيان افتتاح جلسة مجلس الأمة التركي على كل ولاية، ورئيس بلدية، وعلى كل الوحدات العسكرية، وعلى مراكز هيئة (الدفاع عن الحقوق). وهذا البيان يتألف من 6 مواد تشمل: "إعلان تاريخ افتتاح المجلس، وهو23 ابريل عام 1920، وتوجيه بإنه عندما تُتلى الأسماء السلطانية لمولانا، وسلطاننا، وخليفتنا، يجب أن تُتلى الأدعية من أجل خلاص حضرته السامية، ومن أجل خلاص بلده وخلاص رعيته. وأن تُعطى المواعظ حول ضرورة إيفاء كل فرد بالواجبات الوطنية التي سيكلف بها من قبل مجلس الأمة، وحول أهمية وقدسية كفاح الأمة في سبيل إنقاذ المقام العالي للسلطنة والخلافة، وإنقاذ الوطن المجزأ[265].

كان المجلس يتألف من 385 مبعوثاً، منهم 115 موظفاً، و66 رجل دين، و51 عسكرياً، و46 مزارعاً، و37 تاجراً، و29 محامياً، و15 طبيباً، و8 شيخاً، و6 صحفياً، و5 أغا، و5 رئيس عشيرة، ومهندسان. وانقسم المجلس في البداية إلى مجموعات صغيرة مثل مجموعة الاستقلال، ومجموعة الشعب، ومجموعة الإصلاحات. ثم أصبح المجلس جناحين فقط، وهما جناح مصطفى كمال وأنصاره تحت إسم (الدفاع عن الحقوق) الذين كانوا يرون أن الاستقلال لا يتم إلا مع تغيير بنية تركيا. والجناح الآخر هو الجناح المحافظ، وكان يضم رجال الدين، والنواب المتدينين، وكان يرى أن الوصول إلى الاستقلال يكون عن طريق تقوية الروابط الدينية، ويشكل فيه نواب الأرضروم مركز الثقل. وكان يضم 120 عضواً أي ثلث عدد الأعضاء، وكان زعيمه علي شكري، وهو ضابط ركن في البحرية ونائب طرابزون. ومن أبرز أعضائه الشاعر محمد عاكف. وقد استكمل هذا الجناح كيانه بشكل كامل بعد مرور سنة ونصف على افتتاح المجلس، لكن نشاطه انحصر في المعارضة الشديدة بالكلام فقط، ولم يستطع الاستمرار إلا إلى نهاية المجلس الأول. واختفى هذا الجناح بعد ذلك وتعرض زعيمه للاغتيال. وقد كان جناح علي شكري أول وأخر جناح للمعارضة ضد مصطفى كمال[266]. ثم تحولت مجموعة الدفاع عن الحقوق إلى حزب الشعب. وقام المجلس بعد أسبوع من انعقاده بإصدار قانون الخيانة الوطنية، الذي اعتبر كل من ناهض الحركة الشعبية التي اندلعت

---

[264] - كتاب الوطنية العثمانية، تأليف مدام بيرت جورج جوليس، مرجع سبق ذكره، ص 264 و Afet İnan, "Türkiye Cümhüriyeti ve Türk Devrimi", T.T.K. Basımevi, Ankara 1973,s.69

[265] - كان العلماء من أعضاء المجلس يرون ضرورة استئذان السلطان قبل افتتاح المجلس لكي يكتسب المجلس صفة الشرعية، وأنه مادام السلطان لم يعين نائباً للسلطنة، كما أنه بصفته خليفة لم يعين وكيلا له في أمر الخلافة، في هذه الحالة تقوم وزارة الشرعية بمقام نائب السطان، ووكيل الخليفة في هذه الحكومة المؤقتة، وأن يكون المجلس بمثابة هيئة مشورة للخليفة. انظر Niyazi Berkes , "Türkiyede çağdaşma", a.g.e . s.490, 492 , 500

[266] - الرجل الصنم، مرجع سبق ذكره، 146- 148، 152 – 187

في الأناضول خائناً للوطن. وتم قطع العلاقات مع استانبول. وكان هذا المجلس تمهيداً لإلغاء السلطنة، ونهاية الدولة العثمانية، وإعلان الجمهورية التركية[267].

إلغاء السلطنة

بعد انتصار مصطفى كمال على اليونانيين، وتوقيع هدنة مودانيا في 11 أكتوبر 1922[268]، حاول الكماليون الاستيلاء على استانبول. وفي 28 اكتوبر 1922 دعا الإنجليز السلطان وحيد الدين أن يرسل وفداً إلى لوزان لبحث شروط الصلح، ورجوا منه أن ينقل الدعوة أيضا إلى مجلس الأمة في أنقرة. فأرسل توفيق باشا برقية إلى مصطفى كمال ضمنها أفكاره بخصوص التحرك معاً إلى مؤتمر الصلح في لوزان الذي دعت إليه دول الحلفاء. وعندما علم مصطفى كمال بعزم بريطانيا ودول الحلفاء دعوة حكومة استانبول أيضا للمفاوضات، غضب لأنه لا يريد أن يكون للدولة العثمانية أي وجود، وفكر في ضرورة إلغاء السلطنة للحيلولة دون اشتراك تلك الحكومة في المفاوضات حتى لايكون هناك ممثلان عن تركيا، ويكون هناك خلاف في وجهات النظر، وحتى تكون حكومة أنقرة هى الممثل الوحيد في تلك المفاوضات. وبالفعل أصدر مصطفى كمال قانون الخيانة الوطنية، وتم فصل السلطنة عن الخلافة تمهيداً لإلغائها برغم المعارضة الشديدة[269]. ثم بعد شهرين من الانتصار تم إلغاء السلطنة في الأول من نوفمبر 1922، وتجريد الخلافة من سلطتها الزمنية بقانون قدمه للمجلس، وأعلن بموجب هذا القرار نهاية الدولة العثمانية، وصار السلطان وحيد الدين من وجهة نظر أنقرة حائزاً فقط على صفة "الخليفة". ورفض السلطان وحيد الدين ذلك لأنه يعلم أنه لايجوز شرعاً ألا يكون الخليفة - الذي يرعى شئون المسلمين جميعاً- صاحب سلطة كبيرة، وأفاد بهذا بوضوح لرفعت باشا، الذي جاء نيابة عن القوة الشعبية إلى استانبول حيث قال له: **"لا يستطيع عزلي من منصبي إلا موكلي ذو الشأن[270]، وأبدى بوضوح**

---

[267]-Şaban İba, "ordu- devlet-siyaset", a.g.e. s.72

[268] - بعد أن تمكن الأتراك من استرداد أفيون قره حصار في 26 أغسطس عام 1922، وهزيمة اليونانيين في دوملوبينار وانسحابهم، قاموا باحتلال إزمير وتحريرها من السيطرة اليونانية في 9 سبتمبر 1922. وفي 11 اكتوبر 1922 وقّعت اليونان هدنة مودانيا مع مصطفى كمال، وبموجبها تخلت له عن تراقيا. انظر Mehmet Arif Bey, "Anadolu İnkılabı", Çelikcilt Matbaası, ARBA Araştırma Basım Yayın, İstanbul 1987, s. 82

[269] - بعد تحقيق النصر رأى المعارضون من أعضاء المجلس ضرورة العودة إلى الإدارة المدنية، وربط هذه الإدارة بالباب العالي في استانبول لإرتيابهم أن مصطفى كمال سيقوم بإلغاء السلطنة، وكان رؤوف بك ورفعت باشا وعلى فؤاد باشا وجعفر طيار يؤيدون الخلافة والسلطنة. انظر مصطفى كمال (نطق)، مرجع سبق ذكره، ص 415 – 421

[270]- قالت صحيفة (مشرق) التي تصدر في (كوهينور) في الهند: "إن فصل السلطنة عن الخلافة، غلطة ارتكبها مجلس أنقرة لأنها لاتستند على أي قاعدة شرعية. فالأصول التي بُني عليها انتخاب الخليفة، لاتخول فصل الخلافة عن السلطنة أصلاً". وكتبت جريدة القبلة تقول: "إن تجريد الخليفة من سلطته الزمنية يجعل المصالح الدينية تابعة لمصالح الدولة، وفي هذا اعتداء على أهم مباديء الديانة الإسلامية، وأقوى الحجج التي يدلي بها هؤلاء هو أن الخليفة ليس فرد مثل البابا وإنما هو حاكم وخليفة، وإذا جرد الأتراك الخليفة من السلطة الزمنية، يصيرمن العبث ان يقولوا له (إنك الأن خليفة وإن لم تكن لك سلطة زمنية)، إذ بدون السلطة الزمنية لا يستطيع الحاكم أن يكون خليفة". انظر

أنه لا يعترف بهذا القرار[271]**.** وبعد 20 يوماً من إلغاء السلطنة تم عقد مؤتمر الصلح في لوزان في 20 نوفمبر 1922، وكان رئيس الوفد عصمت باشا، وزير الخارجية والممثل الثاني هو الدكتور رضا نور، وزير الصحة[272]. وبعد إلغاء السلطنة صار اسم "الدولة العثمانية" الذي استخدم لقرون طويلة في ذمة التاريخ، وحل محله اسم "تركيا"[273].

أسباب إلغاء السلطنة كما وردت في الخطاب

بعد تحقيق النصر في حرب الاستقلال، كان أتاتورك يؤكد حرصه على الخلافة والسلطنة، ولم يعلن هدفه الذي يريد تحقيقه، حتى إنه عندما أُنتخب رئيساً للهيئة التمثيلية قال هذا الدعاء: **"ندعو الله المتعالي، واجب الوجود بحرمة الحبيب الأكرم، أن يحفظ أمتنا النجيبة المدافعة عن الوطن المبارك، والحارسة الأمينة للدين الأحمدي، الجليل، إلى يوم القيامة، وأن يحفظ مقام السلطنة والخلافة الكبرى، وأن يحفظ هيئتنا الملقاه على عاتقها الحفاظ على مقدساتنا.... أمين".** وحتى يحقق مصطفى كمال هدفه في القضاء على السلطنة والخلافة، بدأ بتحريض الأتراك ضد السلطنة العثمانية لأن السلطان العثماني في رأيه أصبح :"خصماً لايؤمن جانبه لحركة الكفاح الوطني" و"خائناً للشعب التركي"، و"هوالأداة التي يستخدمها الأعداء ضد الوطن والشعب"، ثم عمل على فصل الخلافة عن السلطنة، ثم ألغى الخلافة بعد ذلك[274].

أعرب مصطفى كمال في خطابه عن احترامه لمقام الخلافة، ثم شرح الأسباب الموجبة لفصلها عن السلطنة حيث قال: "إن الدولة العثمانية لم يبق لها في نظر العالم أية قيمة، وصارت خارج نطاق القوانين الدولية، وكان من المفترض أن يتم وضعها تحت الوصاية الدولية، فقد وجد الأتراك أنفسهم في مواجهة العالم وجهاً لوجه برغم عدم مسئوليتهم عن أخطاء الماضي"[275]. كان مصطفى كمال يرى أن مقدرات الشعب لا توضع في يد فرد بشكل مباشر من خلال السلطنة والحاكمية الفردية، إنما من خلال مجلس الأمة التركي الكبير، الذي يمثل السلطنة والحاكمية الشعبية. وأبرز في خطابه أن

جريدة القبلة، العدد 656، 29 يناير 1923 – 12 جمادى الثانية 1341 ص 1 نقلاً عن صحيفة (مشرق) الهندية، العدد 50 بتاريخ 13 ديسمبر 1923. ونفس الجريدة العدد 641 السنة السابعة، 4 ديسمبر 1922 – 15 ربيع ثاني 1341 . ص 3

- جريدة القبلة هى جريدة دينية، سياسية، اجتماعية تصدر في مكة الكرمة.

- يرى شيخ الإسلام، مصطفى صبري أفندي أن الخلافة عن رسول الله هى التزام بأحكام الشرع الإسلامي، ومن يتولى حكم المسلمين هو خليفة عن الرسول، وإلغاء الخلافة معناه التخلي عن هذا الالتزام، وعزل للدين عن الدولة، وإلغاء سلطته عليها، وهذا ماحدث بالفعل؛ إذ بعد إلغاء الخلافة في تركيا تم تشكيل حكومة لادينية (علمانية). انظر مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مرجع سبق ذكره، الجزء الرابع، ص 322 ، 323

[271]- İsmail hakkı okday, "Yanya'dan ankara'ya", a.g.e. s. 293

[272] - مصطفى كمال (نطق)، مرجع سبق ذكره، ص 415 – 421

[273] - Reşad Ekrem Koçu, "Osmanlı Padişahları", a.g.e. s.441

[274]- مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 10 ،11، 352

[275]- مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 428

تخفيف الخليفة من أعباء الحكم، سيساعد على إبراز عزة وشموخ الرابطة الروحية التي تربط الأتراك بالعالم الإسلامي، وأن الخليفة سيظل رفيع المكانة في تركيا، ويستند على دولة تركية يقوم فيها مجلس الشعب مقام السلطنة.

وشرح مصطفى كمال في خطابه خطواته التي اتخذها من أجل إلغاء السلطنة، فرأى أنه من الضروري التعرض للقضايا التي لم يألفها الشعب بالتدريج حتى يضمن تطبيق قراره الذي اتخذه وهو إلغاء السلطنة، وأن الضرورة اقتضت طرح المسائل التي يرى أن هناك محاذير كبيرة لدى الشعب تحول دون طرحها للمناقشة. فبدأ بتحريض الشعب والجيش على عصيان الحكومة والسلطان العثماني. وكان مصطفى كمال يرى أنه يجب على الشعب أن يتصدى بالسلاح للذين يعتدون على موطن أجداد الترك، وعلى استقلال الترك أياما كانوا، والصراع معهم. وكان يرى أنه من غير المناسب إظهار هذا القرار المهم منذ اليوم الأول، أو التعبير عن حتميتة وضرورته. فكان من الضروري تقسيم تطبيقات هذا القرار إلى مجموعة صفحات، وتهيئة مشاعر الشعب، وأفكاره، مع الاستفادة من الوقائع ومجريات الأمور، والسير نحو الهدف خطوة خطوة. ومن أجل تسهيل بعض عُقَد التردد المحتمل وجودها في الأذهان، تحدث عن الكفاح الشعبي الذي يراه بمثابة تطور طبيعي للتاريخ لايمكن تجنبه، يهدف إلى خلاص الوطن، ومواجهة الاعتداء الخارجي. ويرى أنه كلما اقترن هذا الكفاح الشعبي بالتوفيق، أدى إلى تحقيق كل أسس وأشكال حكم الإرادة الشعبية بالتدريج، وأن السلطان الذي صار منذ اللحظة الأولى خصماً للكفاح الشعبي، صار لايؤمَن جانبه، وأنه هو شعر منذ اللحظة الأولى بهذا التطور التاريخي المقدر، لكنه لم يستطع أن يعبر عن هذا الإحساس صراحة. ويقول أنه خاض كفاحاً حقيقياً، ومادياً، ماهيته تفوق التصور. فقد كان هناك خطر خارجي قادم يحمل في طياته الكثير من التغيرات المتوقعة، وأمام هذا الخطر الخارجي، كان يخشى من روح المقاومة لهذا الخطر الذي ينطوي على تغيرات مغايرة للأعراف، ومن الاستعداد الفكري، والحالة الروحية للشعب. ولذلك رأى أن الطريق العملي والمضمون للنجاح هو تطبيق كل مرحلة عندما يحين وقتها. وكان يرى أن هذا هو طريق السلامة لرقي ورفعة الشعب، وكان هذا هو الإطار الذي تحرك فيه في البداية[276].

اعتبر مصطفى كمال تلك المرحلة عبارة عن فترة انتقالية، يمكن بها الانتقال من عهد السلطنة إلى عهد الجمهورية. وقد حدث صراع في هذه الفترة بين فكرين أحدهما يرى العمل على استمرار عهد السلطنة، والأخر يرى ضرورة تأسيس الحكم الجمهوري وإلغاء السلطنة، وكان هو من مؤيدي هذا الفكر. واضطر إلى إبعاد أفكار المؤيدين للسلطنة عن ساحة التطبيق، حتى يستطيع تطبيق أفكاره هو عندما يحين الوقت المناسب. وعندما تم وضع قانون المؤسسات الرئيسية، أصر مؤيدوا السلطنة على توضيح حقوق السلطان والخليفة وصلاحياته. فكان لايتحدث في هذا الموضوع على اعتبار أن الوقت ليس مناسباً لمناقشة مثل هذه الأمور. وكان يسعى إلى جعل إدارة الدولة تتمركز في

276ـ مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 10

إطار الحاكمية الشعبية بالشكل الذي يتجه دوماً نحو الجمهورية، بدون الحديث عن الجمهورية بشكل مباشر. وكان يحاول إثبات أنه يمكن إدارة الدولة بدون وجود منصبي السلطنة والخلافة. وكان يصر على الإيحاء بإنه لا توجد سلطة أكبر من سلطة مجلس الأمة الكبير، ولذلك أحال مهام رئاسة الدولة إلى رئيس المجلس. وعندما كان أنصار السلطنة يعترضون، لم يكن يفصح عن هدفه الحقيقي، بل يدلي بإجابات تتناسب مع مقتضيات الوقت[277].

ويقول مصطفى كمال إنه عندما دعته دول الحلفاء في 28 اكتوبر عام 1922 إلى مؤتمر الصلح الذي انعقد في لوزان، كانت هذه الدول تريد الاعتراف بحكومة قائمة في أنقرة، لذلك دعتها مع السلطان إلى المؤتمر. وهذه الطريقة في الدعوة المشتركة أدت إلى اتخاذ إجراء إلغاء السلطنة الفردية. فتم بموجب القانون المؤرخ في 1 نوفمبر الفصل بين السلطنة والخلافة، وتم تأييد السلطة الملية أو الشعبية التي كانت تباشر الحكم فعلاً منذ فترة تجاوزت العامين ونصف العام، بينما تُركت الخلافة لفترة أخرى دون أن يكون لها حقوق صريحة[278].

بدأت المناقشات في المجلس حول مسألة الفصل بين السلطنة والخلافة في 30 اكتوبر عام 1922، وتم الحديث عن حقيقة الحكومة العثمانية التي تحكم استانبول، والتي كان يراها البعض داخل المجلس، عبارة عن مجموعة من الناس محرومة من الإدراك، والضمير. وطالبوا بأن تُتخذ الإجراءات القانونية اللازمة تجاه هؤلاء الرجال "الذين وقّعواعلى الهوية التاريخية للباب العالي، والذين ارتبطوا به أكثر من أي شئ آخر". وتمت قراءة تقارير خاصة بضرورة معاقبة هؤلاء الرجال الموصومين باسم وشعار الحكومة في استانبول، بموجب قانون الخيانة الوطنية.

وتم إعداد تقرير يفيد انقراض الدولة العثمانية، وميلاد الدولة التركية الجديدة. إذ يفيد هذا التقرير: أنه بموجب قوانين المؤسسات الرئيسية الجديدة، يصبح الشعب صاحب الحق في إدارة دفة الحكم. ووقّع على هذا التقرير ما يزيد على الثمانين من "الأصدقاء"، بالإضافة إلى توقيع مصطفى كمال نفسه. وعند قراءة هذا التقرير كان هناك شخصان اتخذا موقف المعارضة الجادة له، وهما الميرآلاي صلاح الدين بك، نائب مرسين وضيا خورشيد بك، الذي أُعدم في أزمير. فقد أظهرا بوضوح أنهما غير مقتنعان بإلغاء السلطنة.

وفي يوم 31 أكتوبر 1922 اجتمعت مجموعة (الدفاع عن الحقوق)، وعرض مصطفى كمال في هذا الاجتماع البيان الخاص بضرورة إلغاء السلطنة العثمانية. وفي اجتماع المجلس في اليوم الأول من نوفمبر عام 1922، طُرحت نفس المسألة لمناقشات طويلة، وقام مصطفى كمال بعرض بيان مفصل حول هذا الموضوع . وأوضح - مستنداً على الوقائع التاريخية، وباحثاً في تاريخ الإسلام والترك - إمكانية الفصل بين السلطنة

---

[277]ـ مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 11

[278] ـ مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 420

والخلافة، وأن يكون مجلس الشعب التركي الكبير، صاحب مقام الحاكمية والسلطنة الشعبية. وأوضح أيضا أن الخلافة قد انتهت بالفعل من على وجه الأرض، بإعدام هولاكو للخليفة المعتصم. وأنه إذا كان السلطان سليم الأول قد حكم مصر عام 1517 ولم يبدِ إهتماماً للاجئ هناك يحمل لقب الخليفة، فلا يوجد إذن لقب خلافة موروثاً إلى يومنا هذا[279].

وتم تحويل التقارير المتعلقة بمسألة فصل الخلافة عن السلطنة إلى ثلاث هيئات: وهى (هيئة المؤسسات الرئيسية) و(هيئة الشرعية) و(هيئة العدلية)، واجتمعت الهيئات الثلاث في مكان واحد، وأُنتخب لرئاستها الشيخ مفيد أفندي، وبدأوا في مناقشة الموضوع. أوضح الشيوخ - أعضاء الهيئة الشرعية- أنه لايمكن فصل الخلافة عن السلطنة، وعندما وصلت المناقشة إلى طريق مسدود، أخذ مصطفى كمال الكلمة من رئيس اللجنة المشتركة، وصعد فوق المقعد الذي أمامه وقال: **"أيها السادة، إن العلم يقول: إن السلطة والسلطنة ليستا هبة أو منحة من أحد إلى أحد، ولا تُمنحا بالمناقشة والمباحثة. السلطة تُنتزع بقوة وقدرة السلطنة. لقد اغتصبت الأسرة العثمانية سلطة الأمة التركية، واستولت على السلطنة بالقوة، واستمروا في هذا التسلط منذ ستة قرون. أما الآن فإن الشعب التركي بصدد وضع حد لهؤلاء المغتصبين، وقد أعلن الشعب العصيان، وأخذ الشعب بالفعل السلطة والسلطنة، وهذا أمر واقع. وموضوع المناقشة ليس هو: هل سنترك للأمة السلطة والسلطنة أم لا؟ فهذا الأمر أصبح أمراً واقعاً، وحقيقة معلومة. وإذا نظر كل واحد إلى المسألة على إنها مسألة طبيعية، فسيكون متفقاً معي في الفكر. وإذا جرى الأمر على عكس ذلك، فسيتم صياغته في دائرة القواعد المرعية أيضا، لكن من المحتمل أن بعض الرؤوس سوف تُقطع"**[280].

وبعد كلمة مصطفى كمال، تم وضع لائحة القانون بسرعة، وتُليت في الجلسة التالية في نفس اليوم. واعتلى مصطفى كمال المنصة للاعتراض على مسألة أخذ الرأي بالأسماء، حيث رأى أنه لاحاجة إلى ذلك، لأن المجلس سيوافق بالإجماع. وبعد أن ارتفعت الأصوات بالرأي، قال الرئيس: موافقة بالإجماع، وأُسكتت الأصوات المعارضة. وكانت هذه الجلسة، هى الصفحة الأخيرة من مراسم انهيار وانقراض السلطنة العثمانية[281].

"وكان هذا هو ما تلقاه السلطان وحيد الدين، من الرجل الذي أرسله إلى الأناضول وقال له (ياباشا إنك تستطيع إنقاذ الدولة)، وهذا ما أصابه بعد ثلاث سنوات من الانتظار في غرفته الخاصة، متابعاً حرب الاستقلال ليلاً ونهاراً على خريطة مجسمة للأناضول، واضعاً عليها إشارات الأعلام، وداعياً لها من كل قلبه بالنصر. وهذا هو ما

---

[279]- مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 421

[280]- مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 421 ، 422

- يقول قدير مصر أوغلي: "إن إلغاء السلطنة تحقق نتيجة لتهديدات مصطفى كمال". انظر Kadir Mısıroğlu, "bir mazlum Padişah, Sultan vahideddin", a.g.e. s.323,324

[281]- مصطفى كمال (غازي) نطق، مرجع سبق ذكره، ص 422

أصاب هذا السلطان الذي أمر قواته المتوجهة لحرب جيش القوات الملية- والذي ما رضي بهذا إلا لتمويه قوات الحلفاء - بأن لاتبدي أية مقاومة حقيقية، وأن تتقهقر من أول ضربه، هذا السلطان الذي لم ينحرف أبداً إلى استخدام قوات الأعداء"[282].

[282] ـ الرجل الصنم، مرجع سبق ذكره، ص 261